الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ

**محمد سيد حاج**

رحمه الله

شرح كتاب مدارج السالكين · الحلقة 72

# منزلة السكينة

للشيخ محمد سيد حاج رحمه الله

نص مفرَّغ من التسجيل وحُرِّر للقراءة: صُحِّحت فيه الهمزات والترقيم والآيات، وحُذفت مواضع لم يتبيّن فيها الكلام. المرجع هو التسجيل الصوتي.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله الامين، وعلى اله واصحابه ومن اهتدى بهديه واستن بسنته، واستقام على شرعه الى يوم الجمع والدين، منزلتنا من منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ منزلة السكينة، والسكينة بداية القول فيها، قال ابن القيم انها منازل المواهب وليست من منازل المكاسب، المكاسب ان يسعى الانسان بجهده وان يبذل ما في وسعه، لتحصيل الشيء كسبا، اما المواهب فهي مواهب الالهية التي يلقيها الله عز وجل ويهبها لمن يشاء، السكينة من المواهب وليست من المكاسب، وردت السكينة في كتاب الله في ستة مواضع، موضع في سورة البقرة وموضعان في التوبة، وثلاثة مواضع في سورة الفتح، قال ابن عباس رضي الله عنهما كل سكينة في كتاب الله طمأنينة سكينة البقرة، السكون لفظه من الاجماع والوقار والهدوء، والسكينة التي في سورة البقرة هي سكينة عينية، السكينة قضية معنوية او مسألة معنوية، تنزلت السكينة شيء يشعر به العبد في قلبه طمأنينة ووقارا وهدوءا، اما السكينة التي في البقرة انما كانت مجسمة معنية ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ قال ابن القيم والذي يرجح ان السكينة كانت حسية انها عطفت واضيفت الى حسي ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ واختلف القائلون من الصحابة والسلف في ان السكينة التي وردت في سورة البقرة هي سكينة حسية الى قولين.

القول الاول يقول علي ابن ابي طالب رضي الله تعالى عنه السكينة ريح، لها رأسان ووجه وجناح، وكان بعضهم يقول كمجاهد وغيره السكينة هرة، لها صوت، فالذين ذهبوا من السلف الى ان السكينة حسية ولذلك ابن عباس منهم، لكن ابن عباس كان لا يرى انها هرة او يرى كذا، يرى انها تصدر صوتا وانهم يرونها، فاذا جاء التابوت وفيه السكينة علم اعداء الانبياء في بني اسرائيل انهم منخذلون ومهزومون وعلم الانبيا واتباع من الصالحين انهم منتصرون، من المواطن التي ورد فيها السكينة في سورة البقرة ﴿ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ وكذلك هذا في حنين وهنا اذا في الغار ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ هذه السكينة المعنوية وتفصيلها يأتي في ثنايا الكلام يقول ابن القيم اصل السكينة السكون والوقار الذي ينزله الله على قلب عبده عند اضطرار قلبه او عند شدة المخاوف، ولذلك يرى ابن القيم رحمه الله ايات السكينة نزلت في مواطن حاسمة.

في الغار شدة وكر، ويوم حنين اصطدموا ببأس الكافرين وبقوتهم فانهزم بعضهم، فنزلت السكينة، ويوم الحديبية تمكن الكفار من في امرهم واملوا عليهم الشروط وخضع النبي وسلم لشروط الكفار التي ارادوها وفي ظاهر الاتفاق ان فيه ظلم اضطربت قلوب بعض الناس حتى عمر رضي الله عنه اضطرب قلبه فثبته الله بالصديق، لذلك يقول ابن رحمه الله اعلم الصحابة على الاطلاق، وافقههم ابو بكر رضي الله عنهم، ابو بكر افقه الصحابة، بلا خلاف، قال ليس العلم والفقه بكثرة المرويات، هذا قوله في منهاج السنة فان ابا بكر اقل الصحابة رواية عن ابي هريرة كثير عن انس كتير عن ابن مسعود عن ابن عمر عن عائشة عن عبد الله ابن عمر ابن العاص دين الرواة عن انس ابن مالك دين الرواة الاساسيين عن ابي بكر قليل قال ابن تيمية والفقه حفظ الكليات وادراك المعاني الاساسية، وان ابا بكر اعلمهم، ولكنه ما كان يتقدم الا اذا احتاج الناس الى علمه، واحتاج الناس الى علمه عند الحديب جاء عمر يشكو الى ابي بكر كيف نعطي الدنيئة في ديننا؟

واجهه ابو بكر مواجهة اصولية، قال اتعلم انه رسول الله؟ رسول ولا ما رسول؟ قال الرسول، قال اذا ليظهرن الله امره، لما مات النبي سلم سقط في ايدي الصحابة قام العالم، والجميع سكوت واستدل عشان تعرف العلم بالقرآن، حتى قال بعض الصحابة انهم كأنما يسمعون الاية لاول مرة، في السقيفة ظهر علمه، المسجد اختلفوا، لما واستدل رفع الخلاف، في حروب الردة ظهر علمه، كان هو الوحيد الذي يريد ان يقاتل، والبقية كانوا يريدون خلاف ذلك، لكنه اصر واستدل وناظر واحج بعلم ام بغير علم، قال وابو بكر اعلم الصحابة وافقههم على الاطلاق، لانه فقيه بالكليات وفقيه بالاصول، وهنا عندنا مسألة تربوية، وطالما ان الدرس من

الدروس التربوية اقول لك الفرق بين العابد وبين الفقيه عند ظهور الملمات وعند وقوع الفتن، العابد يهتز، وسرعان ما يجري مع التيار، اما الفقيه هو الذي يرسخ، ولذلك يقال ان الفقيه يثبت عند الفتن، قال ابن القيم اقبلت الفتنة لم يرها الا عالم، اما اذا انجلت عرفها كل الناس، العلم فيه، لذلك كان جريج عابدا، ولم يكن فقيها، والرجل الذي افتى القاتل في بني اسرائيل الذي قتل تسعة وتسعين نفسا.

وجاء يستفتيه فمنعه التوبة فقتل كان عابدا، ولما ذهب الرجل بعد قتل المئة الى العالم دله العالم وارشده بعلم وفقه فان الفقه في الدين غير العبادة، العبادة مطلوبة لكن الفقه في الدين اعمق، ان تنظر الى الدين وان تلتمس الاصول وان تمسك بالقواعد وان تمسك بزمام الامور وان تعرف ماذا تريد، واين تتجه؟ وانت على دراية من امرك، الفقه مهم، العابد اذا جاءته فتنة لعبت به، ولذلك قيل الفقيه اذا رأى امرأة متبرجة هذا غريب، اذا رأى امرأة متبرجة لا تفتنه، لان همه ان يصلح المنكر الذي فيها، لا ان ينظر الى محاسنها، بيكون همه نكلمه كيف؟ نهديه كيف؟ طوالي بيخش في الاشياء العميقة في الدين، ده اما العابد بعد ما يعاين ما كل العباد، في العباد بيخافوا الله، يتعوذ ويبتعد، فبالتالي السكينة نزلت في الحديبية، ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ وكان الموقف في الحديبية موقفا يحتاج الى سكينة، لان القروب اضطربت، حتى قال عمر الم تعدنا بانا سندخل المسجد الحرام؟

قال اقلت لكم هذا العام ﴿لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ وصدقت الرؤيا فاحتاج الصحابة الى هذه السكينة العظيمة الى غير ذلك من الامور، طيب قال ابن القيم وهذا من الكلام اللطيف جدا، بان العلامة ابن تيمية في مرة من المرات ضعف، وتسلطت عليه ارواح شيطانية سحر وعين وكذا، فكان لا يقوى على الحركة، لكنه كان يأمر اهله ان يقرأوا عليه ايات السكينة، قال ابن القيم رحمه الله انه كلما اضطرب قلبه عند مشكلة من جلس ووضع يده على صدره وقرأ اية السكينة، فاذا بقلبه يسكن بعد اضطراب، ونفسه تهدأ بعد قلق وضميره يرتاح بعد هيجان، كان يقرأ ايات السكينة على قلبه، شيخنا محمد حامد يعلق في الهامش ويقول بان هذا من فعل ابن تيمية وابن القيم ونحن لا نتبعهم او لا نتبعهما، قال كل يؤخذ من قول ويرد ولكن ليس في الامر بأس طالما ان الرقية الشرعية جائزة والقراءة بالقرآن جائزة فانه رأى ان هذه الايات بما فيها من السكينة قد تأتي بالسكينة الى قلبه وما في ذلك بأس والله تعالى اعلم.

لما كان النبي عليه الصلاة والسلام في الخندق يحفر الخندق والخندق من المواقف الصعبة، وال تربطون بطونهم لما حفظ النبي سلم حتى لصق التراب ببطنه كان يرتجز بكلمة عبد الله ابن رواحة لا هما لولا انت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا فانزلن سكينة علينا وثبت الاقدام ان لاقينا، ان الاولى قد بغوا علينا، وان ارادوا فتنة ابينا، طبعا ده انتم ما حافظينه، ليه حافظين؟ الثانيات حافظين البيت الاخير ده مو حافظينه مش كده؟ انا في البيتين الاوائل ويرددوا معي الناس، لمن جيت ان الاولى بغوا علينا وان ارادوا فتنة ابينا صلوا ما لكم ما تقولوا، ده كلام قاله عبدالله ابن رواحة، لا هم لولا انت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا فانزل سكينة علينا وثبت الاقدام ان لاقينا، ان الاولي قد بغوا علينا قريش ومن معها، وان ارادوا فتنة ابينا، فبالتالي قال ابن القيم قبل ان يدخل في كلام صاحب المنازل يا سلام، قال صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكتب المتقدمة، يا اخوانا صفة النبي سلم وردت في التوراة، ووردت في الانجيل، حتى قال تعالى ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ الاية كويس؟

فبالتالي قل في مذكورون بنبيهم، جاء ذكره اني باعث في الاميين نبيا، اني باعث في الاميين نبيا، ليس بفضل ولا غليظ، هذا صحيح والله، ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾ ليس بفضل ولا غليظ، ولا صخاب في الاسواق ولا متزين بالفحش، ولا متزين بالفحش، يعني كلامه كله يعني عفيف ولا قوال للخنا، لا يقول الكلام الذي ليس في موضعه اسدده لكل جميل، واهب له كل خلق كريم، ثم اجعل السكينة لباسه، والبر شعاره، السكينة شنو؟ لباسه، البر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله، التقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته، الوفاء جزء من تكوينه، والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته، سيرته بشنو؟ والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته، واحمد اسمه، هذه صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكتب السابعة، قال صاحب المنازل الهروي السكينة اسم لثلاثة اشياء، ليس على ثلاث درجات، الان هذه الثلاثة اشياء اخرها ينقسم الى ثلاث درجات، ركزوا معي في درس السكينة، السكينة اسم لشنو؟

لثلاثة اشياء اخرها سكينة الوقار، اخرها سكينة شنو؟ وسكينة الوقار تنقسم الى ثلاث درجات الاولى والثانية والثالثة، طيب الشيء الاول اول اشياء السكينة سكينة بني اسرائيل، سكينة بني اسرائيل التي اعطوها في التابوت، واهل التفسير قال اهل التفسير هذا كلام الهروي، ريح هفهافة وذكروا صفتها، ريحوا شنو؟ هفهافة هفهافة يعني شنو؟ هفوف ما سمعتوا هابه كذا وباردة، ما سموم؟ ريح هفهق، قال ابن القيم واختلفوا فيها،

هل هي عين قائمة؟ او معنى؟ يعني هل هي قضية حسية؟ السكينة في التي في التابوت هل هي حسية ام معن قال الذين قالوا انها حسية انقسموا الى فريقين، فريق علي يقول ريق هفافة لها رأسان ووجه كوجه انسان، هذا قول علي رضي الله عنه، امام من ائمة الهدى، وعالم من علماء الامة والتفسير ومجاهد قال يعيد الكلام الاول لها جناحان وعينان لهما شعاع وابن عباس رجح بان السكينة في بني اسرائيل حسيا هم من القائلة انها شنو؟

ولذلك مر علينا قوله قال السكينة هي الطمأنينة الا السكينة التي في شنو؟ الا السكينة التي في سورة البقرة حسية، ابن عباس يقول فص من ذهب كانت تغسل فيه قلوب الانبياء، والدليل على انها جاءت مع التابوت اضيفت الى التابوت، وهذا ايضا قول عطاء ابن ابي رباح، بعضهم قال هي بمعنى السكينة بمعنى المعنى، شيء معنوي، طيب سكينة الشيء الاول سكينة من؟ سكينة من؟ سكينة بني اسرائيل، قال الهروي وفيها ثلاثة اشياء، السكينة فيها كم؟ فيها ثلاثة اشياء، للانبياء معجزة، ولملوكهم كرامة، وهي اية النصر تخلع قلوب الاعداء بصوتها رعبا اذا التقى الصفان للقتال، وهذا قد مضى ذكره في اول المنزلة كانت تأتي بالنصر، ﴿قَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ طيب للنصر قال ابن القيم شرحا لكلام الهروين، قال لا ينبغي ان يفرق بين كرامات الاولياء ومعجزات الانبياء، يقول كل كرامة لولي هي معجزة للنبي، كل كرامة دولي هي معجزة للنبي ودلل وتدليله منطقي، بالنسبة لي، قال الولي لم يصب وليا مؤيدا من عند الله الا باتباع نبي زمانه، اذ انه لو خالف نبي لكان مخالفا مستحقا لمقت الله واهانته.

لا لكرامة الله، فما نال الاولياء الكرامة الا باتباع من؟ باتباع الانبياء، ولذلك كل كرامة لولي من الاولياء في الامة راجعة الى نبي الامة فخرا يعتز بها مثال نحن امة محمد عليه الصلاة والسلام لو ان احدا استقام على سنة النبي عليه الصلاة والسلام اكرمه الله بكرامات حسية ومعنوية فلو انه اكرمه بكرامة حسية لكانت في ميزان حسنات رسول وسلم لان الدال على الخير كفاعله، وهذا يحل الاشكال الذي في اية النمل ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ الذي عنده علم من الكتاب اي كتاب؟ كتاب سليمان؟ ام كتاب اخر؟ كتاب سليمان؟ وهل لسليمان علم؟ بهذا الكتاب ام ليس له علم؟ لو قلت انه ليس له علم كأنك تقول ان في امة محمد من يعلم في القرآن علما لا يعلمه محمد عليه الصلاة والسلام، ولا يعقل ولا يكون هذا، لان الكتاب انزل على النبي، بل ان اصف لو سميناه اصف على بعض التفاسير لو كان مخالفا لسليمان لما اكرمه الله.

فاذا هي ليست كرامة لاصف، انما هي معجزة لسليمان، والدليل على ذلك في تمام الاية، قال سليمان ﴿هُذَا مِن فَضْلِ رَبِّي﴾ ﴿فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هُذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ فبالتالي يقول والتفصيل في هذه المسألة في غير هذا المقام، قال نعم هنالك فرق بين كرامات مال الانبياء ومال الاولياء فرق كبير، لكن كل كرامات الياء الصحيحة هي معجزة لمن؟ لانبيائهم، لانبيائهم، طيب، ثاني الاشياء الشيء الاول سكينة من؟ سكينة بني اسرائيل، السكينة الثانية هذا كلام التي تنطق على لسان المحدثين، هي ليست شيئا يملك يعني ما تريد التمسيل كذا انما هي شيء من لطائف صنع الحق تلقى على لسان محدث بالحكمة كما يلقي الملك الوحي على قلوب الانبياء وتنطق بنكت الحقائق مع ترويح الاسرار وكشف وهذا مقام يحتاج الى ايضاح، طيب اسمع هذا الكلام جيدا، لاني سوف اناقش قضية عقدية في غاية الخطورة، قال ابن القيم السكينة اذا نزلت على القلب اطمأن القلب اليها، واستكانت الجوارح اليها وخشعت واكتسبت الوقار فانطقت اللسان بالحكمة والصواب، اللسان بعده يتكلم بشنو؟

بالحكمة والصواب، وحالة بينه وبين قول الخنا والفحش واللغو وكل باطل، قال ابن عباس كنا نتحدث ان السكينة تجري على لسان عمر وقلبه، الصحابة كانوا بيقولوا شنو؟ ان السكينة تجري على شنو؟ على لسان عمر وشنو؟ قلبه قال ابن القيم واكثر ما يكون ما تأتي هذه السكينة عند وجود الحاجة اليها، وصدق الرغبة من السائل والمجالس، قال قد تجري على لسان المحدث وهو لا يشعر، بل اذا سئل ربما انكر الكلام الذي قاله، ومن هذا يا سارية الجبل وحديث يا سارية الجبل صححه الالباني في اخر المجلد السادس من السلسلة الصحيحة، والاثر صحيح، وهو سارية ابن زنيم رضي الله تعالى ورحمه الله وكان في بلاد بعيدة، قال يا سارية الجبل الصحابة لانهم على عقيدة صحيحة جاءوا يحملون سيوفهم لعمر، يقولون اوحي بعد رسول الله؟ فسألهم عن الذي حصل، قال لقد قلت يا سارية الجبل، قال ما شعرت بها اذ قلتها، انما هي كلمة اجراها الله على لساني، يعني ما قال ليهم؟

انا اتكشف لي ولا شفتها؟ ولا كده؟ وتأتي السكينة على لسان محدد للحاجة، طيب قوله وليست شيئا يملك، هذا يدلل على ان السكينة موهبة، هبة من شنو؟ من الله، وهي ليست سببية ولا كسبية يعني ليست بسبب ولا بشنو؟ ولا بكسب السكينة التي كانت في التابوت تنتقل معهم حيث شاؤوا، سكينة في التابوت محلها التابوت بيمشي، سواء كان ريح عندها اغاصين زي واش الانسان او كنيسة عندها جناحين ولها عينان لها شعاع او لهما شعاع النين تنتقل معهم السكينة، طيب لكن لا يخفى على ان السكينة لا تتنزل الا بعد ولاية وصلاح، وهذا يكسب الإنسان هل اي زول بيجيب السكينة؟ طيب قلنا وهذه نقطة نقطتهم في

غاية الأهمية ارجو ان تركزوا معي قوله بأنها ليست شيئا يملك بمعنى قد يفعل العبد موجبات ولا تأتيه السكينة فتأتي السكينة لبعض الصالحين وليست لبعضهم فان عمر رضي الله عنه كانت السكينة تجري على لسانه بالرغم من ان معه غيره من الصحابة في شنو؟

في الصلاح لكن هذا فهم الصحابة كما يقول ابن عباس رضي عنهما قال تلقى على لسان المحدث الحكمة، اي تجري عليه كما يلقي الملك الوحي على قلوب الانبياء، وهنا تنبيه الفرق بين الوحي وبين التحديث، يعني عمر عنه محدث صح؟ لو كان في امتي محدثون فعمر صح؟ فالتحديث كما قال هنا التحديث هو شيء يحدث به المحدث في سره فيكون كما حدث او كما حدث، يعني يلقى في روعه وخلده شيء يأتيه خاطره الخاطرة تتحقق وتقع كما قال عرفته؟ يرى انسان من بعيد يقول هذا يريد كذا وكذا وكذا فيأتي الامر كما شنو؟ ها؟ كما قال هذا تحديث الفاصل بين التحدي وبين الوحي ان الوحي لا يخطئ ولكن المحدد شنو؟ يصيب ويخطئ، احيانا يلقى في نفسه شيء ولا يصيب، فقد القي في نفس عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمت، وحمل سيفه ليقتل كل من؟ من يقول بانه شنو؟

قد قتل صح ولا ما صح؟ وكان الصواب على خلاف ما قال عمر رضي الله عنه المحدث على خلاف ما قال لانه في هذه المسألة فارقه الصواب ليحصل الفرق بين النبوة وبين التحديث عرفت؟ وهذا كفيل فعمر رضي عنه كان يفتي بالفتوى ويراجعه الصحابة فيتراجع، يتراجع عن شنو؟ عن فتواه يتراجعوا عن فتواه، فبالتالي هذا هو الفرق بين التحديث وبين الوحي، المسألة العقدية المهمة، قال ابن القيم ولكن ليس في مدارج سالكين في كتابه الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، قال لا يزال العبد في مراتب الولاية لله عز وجل حتى يسكن قلبه الى الله ويطمئن فؤاده ربه فتلقى العصمة على جوارحه، تلقى شنو؟ العصمة على جوارحه، كيف؟ قال ما تقرب الي عبدي بشيء احب الي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لاعطينه ولئن استعاذني لاعيذنه، بعض الناس يفسر الحديث يقول الولي يمكن ان يترق في مراتب الولاية والصلاح حتى يكون سمعه كسمع الله مطلقا.

يسمع القاصي والداني والقريب والبعيد، ويسمع جميع الخلق يتكلمون في ساعة واحدة فيفرزوا اصواتهم، ويميزوا حاجاتهم وان اختلفت لغاتهم وان تعددت ونحن نقول ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ قال ابن القيم والله هذا من الطف ما وقفت عليه في تفسير هذا الحديث العظيم، ولذلك نقلته هنا في منزلة السكينة لانه من المسائل العقدية المهمة يقول رحمه الله تعالى تأمل سكن قلبه الى الله واطمأنت جوارحه

وخشعت بعد سكون قلبه فانه لو اراد ان يعصي الله بجوارحه لما استطاع ان يعصي الله لانه لا يعرف كيف يعصى الله، كنت سمعه الذي يسمع به فلا يسمع الا شنو؟ الا ما شنو؟ ما يرضي الله، وبصره الذي يبصر به لا يبصر الا ما يرضي الله، والدليل على هذا الرواية الثانية فبي يسمع وبي يبصر اي بمعاونة، والدليل الذي استدل به ابن القيم دليل عجيب، قال شنو والله ده فرق في الدين عالي، قال ذكرت كل الجوارح الا جارحة اللسان، صح؟

ملاحظ ولا ملاحظ؟ كنت سمعه وبصره ويده ورجله، بالرغم من ان اللسان قد يكون مهما اكثر من او قد تكون له اهمية اكثر من هذه الجوارح قال لسانه لم يذكر، لم يقل كنت لسانه الذي ينطق به، قال ليه؟ قال لانه لما استغرقته العصمة من الذي استغرقته العصمة؟ الولي استغرقته شنو؟ العصمة، فصار في عصمة مولاه وفي ربه قال جارحة السمع من الصعب ان تتحكم فيها، لانها جارحة ظاهرة فقد يلقى عليك من الكلام ما هو شر ولكنك لا تريده ولكنك تضطر الى سماعه، قال اما جارحة اللسان فجارحة مظبوطة يتكلم الانسان بما يريد، اذا كان سمعهم الذي لا يملكونه بالرغم من ذلك حفظهم الله فيه فمن باب اولى اللسان الذي يملكونه، فهم ولا ما فهم؟ ها؟ والله فهم عالي، سمعه شوف الولي الصالح من توفيق الله لو في اتنين بيتنابزوا هو ما نبزوا لا حاجة وده ماشي في الطرف لكن لو واحد نبز التاني كويس الكلام بيجيبه ولا بيجيبه بيسمع ولا بيسمعوه تخيل الولي كان ماشي في المحلة دي وقام وفي شكله بهناك ربنا يجيب له موضوع يخليه يجيب الشارع بذاته.

عشان ما يسمع ده معناه كنت سمعه الذي يسمع به، حفظ ولا ما حفظ، فاذا حفظه في السمع الذي لا يد له فيه فما بالك باللسان الذي هو يملكه؟ من باب اول لا يتكلم بالخنا ثم ختم المولى عز وجل الحديث القدسي بقوله ولئن سألني لاعطينه ولئن استعاذني لاعيذنه وفيه دليل على انه عبد مربوب وليس ربا ولا الها وليست له قدرة ليس له الا ان يستعين بالله وان يستعيذ بالله وان يلجأ الى الله، طيب بعد السكينة الثالثة هي التي نزلت على قلب النبي صلى الله عليه وسلم، ما هو قال السكينة على ثلاثة اشياء، سكينة بني اسرائيل وسكينة المحدثين الثالثة السكينة التي نزلت على قلب النبي وسلم وعلى قلب المؤمنين وهي المراد بمنزلة السكينة وهذه على ثلاث درجات دايما تلقى الصبر على ثلاث درجات انت اتكلمنا عنهم في الدرس الماضي على شنو؟ على ثلاث درجات وهكذا السكينة على ثلاث درجات النوع الثالث من السكينة على كم؟

على ثلاث درجات وهي التي نزلت على قلب النبي وسلم وقلوب المؤمنين وهي شيء يجمع قوة وروحا يسكن اليه الخائف، ويتسلى به الحزين والضجر، ويسكن اليه العصي والجريء والابي، قال ابن القيم هذا من اجمل الكلام الذي قاله الهروي وهو من الكلام الذي تنعقد عليه وتنثني له الخناصر، كلام جميل، جميل يعني، طيب لكن شرح ابن القيم ايضا جميل، يقول رحمه الله فانه قال في هذه السكينة ان السكينة التي انزلت على قلب النبي عليه الصلاة والسلام، وعلى قلوب المؤمنين تشتمل ثلاثة معان النور والروح والقوة اشنو؟ النور والروح شنو؟ والقوة ولها ثلاث ثمرات تسكين الخائف وتسلية الحزين والضجر واستكانة صاحب المعصية على المخالفة والاباء اليه لانه قال ويسكن اليه العصي ما العصي؟ العاصي، والجريء الذي يتجرأ على ارتكاب شنو؟ والابي الذي يتأبى على الطاعة، يتأبى يأبى سلو يأبى طيب يقول ابن القيم النور يكشف له عن دلائل الايمان وحقائق اليقين، قال بعضهم نور التوحيد في قلبه كالشمس، لا ينفع معها اي نور، حتى الجامع ده مش منور كده؟

بكرة الساعة عشرة صباحا كان ولع زي البطارية دي زي البطارية دي ما عنده اي قيمة ومنهم من هو على اشد مصباح ومنهم على ضوء سمعه على حسب ادراك حقائق الايمان واليقين في القلب والنفس، شيء عجيب والله طيب قال النور السكينة التي انزلت على قلوب المؤمنين التي في الايات وانزلت قبل المؤمنين على رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فيها النور والروح والقوة، تسكن الخائفة وتسلي الحزين والضجر، ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾ يسكن اليها العصي، وهذا من عظيم ما قال، كيف يسكن الى السكينة وهو عاصي الى السكينة، طيب هي فيها النور، والنور يكشف له عن دلائل الايمان وحقائق اليقين، يميز له بين الحق والباطل والهدى والضلال، هذا واضح يا اخوان، واضح جدا، والروح توجد كمال يقظة القلب وحضوره وانتباهه من سنة الغفلة، والقوة توجب له الصدق وتوجب له صحة المعرفة وقهر داع الغي والعمل، طيب بمعنى خلاصة الامر ان هذه السكينة تجمع نور ينور القلب، ولكن اشعة نور التوحيد في القلب على حسب ادراكك لمعرفة الله واقتباسك من الاسماء والصفات، فقلنا ايها الاحبة طيب اسمع الكلام اللطيف قلنا ان السكينة التي نحن بصدد الحديث عنها وهي سكينة الوقار سماها الهروية سكينة الوقار تسلي الحزين وتؤمن الخائب ويسكن اليها العصي والجر والابي.

طيب كلام جميل، قال ابن القيم كيف يسكن العصي الى السكينة؟ تحليل تحليل عجيب، اسمع الكلام دا كويس، كيف يسكن العصي والجريء؟ الى شنو؟ الى السكينة، قال لما كان العصي فاعلا للمعصية كان يجد راحته ولذته في المعصية، فاذا فقد المعصية احس بشيء يفقده، فاذا وجد السكينة كانت خير بدل له عن

المعصية يسكن اليها، الكلام ده في محله ولا ما في بمعنى ايوه قال العصي والابي والجريء كان يجد متعته في المعصية بل هو يفعل المعصية لما يجد فيها من اللذة والمتعة فاذا فقد السكينة احس بانه يفقد شيئا عظيمة سيضطرب، اضطرابه هذا لا يمكن ان يسكن الا ببدن له، وخير بدن له ايمانه ويقينه بالله فيطمئن نفسه الى سكينة اعظم من اطمئنانه الى المعصية التي كان يطمئن اليها، لذلك قال ابن القيم روضة المحبين لو يعلم الفاجر ما في العفة من اللذة وانشراح الصدر وطيب العيش لعلم ان ما فاته من اللذة اضعاف ما حصل بالفجور، صح ولا ما صح؟

صح؟ هسا؟ واحد تلقاه حتى الناس واحد تلقاه بيتكلم مع البيت كتير مع البنات ويرسل لها رسايل بالموبايل وهي ترسل له الليل كله رسايل الليل كله يرسلوا رسايل جزء واتكلموا جزء ولحد الساعة اتنين صباحا ده مساهر مع محبوبه رسمي ده سهر المحبوب كويس؟ طيب اصلي ركعتين الله يمكن يرحمك من السماء، قم صليت ركعتين، سهر، عشان كده كانت عفيرة العابدة تناجي ربها تقول الهي غارت النجوم، ونامت العيون وغلقت الملوك ابوابها وخلا كل حبيب بحبيبه، هذا مقامي بين يديك فارحمني، بعثير العابدة، شفت كيف؟ بعدين مش مع الونسة دي؟ لو عرسها، والله، كان؟ ما بتبقى الونسة سامحها الا لانه معاه حرام، شيطان يتلذذ يا اخي واحد قال لي يا شيخنا قال لي انا خاطب لي وحدة قريب يتصل بيها الساعة اثنين صباحا، والله دا الفتوى قلت له ليه؟ قال له اذا الاصحية قيام الليل، قلت له ما عندك مشغلة؟

قال طب قم انت الليل قمت تقوم ترزع نوم مالك ومالك؟ قادر اصحيه قيام الليل قال تصحيه لكن لمن تقول الو قلبه ده بينشرح بالجراحة وكأنه محلق في السما فوق زي ما تقول لك الشعراء الكدابين يقول لك كأنه حلقت في شنو؟ حلقت وين؟ قال حلقتها قال شو نزل كيف؟ قال ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ شو الكلام ده كيف؟ ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ۗ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ شوف فبالتالي بعد الحلال ما يقدر يقوم معاه، يا اخي انت لو مستعجل للنظم اصبر، والله بعدين بتابعوك، عرسها لكن والله بعدين بيتابعوك، مستعجل ما لك، انظر معاه بعدين بالجد بالجد، بعد ما تمسكها وتعقد على بعدها تنظر معاه، لكن بتاع الباطل ما بيحلو، لذلك مع العاصي لانه يجري وراء الثراء، سكن الى السراب، فكيف اذا تبدل السراب الى حقيقة؟

وصار يسكن الى ربه الرحمن، اليست سكينة تسكن العصي والجلي والابي؟ طيب، قال ابن القيم شوف الكلام ده كيف قال اذا هاج قلبه الى اللذة ووجد فيها الروح والراحة فاذا تاب الى الله صارت لذته روحانية قلبية لا جسمانية قال فاذا تألقت بروق المعصية شف الكلام الراقد لابن القيم فاذا تألقت شنو؟ بروق المعصية كأن المعصية عندها شنو؟ بريق زي البرق يا اخواننا هذول يشوفها من بعيد لبعيد بروق المعصية، اذا تألق البرق نجديا فقلت له يا ايها البرق اني عنك مشغول مشغول بما هو اعظم وبما هو اجل، قال فاذا طرقته المعصية الخيالية في ظلام ليل الشهوات شوف التعبيرات الجميلة دي اذا طرقته طيوف المعصية الخيالية في ظلام ليل الشهوات نادى بلسان حاله يقول تركتك صائدة القلوب ليس ذا وقت الزيارة فارجعي بسلامي، طرقتك فائدة القلوب، وليس ذا وقت الزيارة، قال لا فارجع شنو؟ فارجع شنو؟ بسلامه، فاذا ودعته طيوف المعصية في ظلام نيل الشهوات، وقال الثوب، الان ما وجدت فيك ساعود اليك ثانية قال لها بيت الشعر قالت وقد عزمت على ترحالها ماذا تريد؟

قلت الا ترجعي، قالت لها انا ماشية داري شنو؟ قالت انا ما تجي، وجد سكينة في قلبه اغلق دونها كل شنو؟ كل الابواب، قال الهروي واما سكينة الوقار السكينة التي نتكلم عنها الان التي نزلها المولى عز وجل نعتا لاربابها يعني وصف بها شنو؟ وصف بها المولى عز وجل من اتصف بها من فانها ضياء تلك السكينة الثالثة التي ذكرناها، وهي على ثلاث درجات، الدرجة الاولى سكينة الخشوع، عند القيام للخدمة رعاية وتعظيما وحضورا، كلام راقي جدا، قال سكينة الخشوع عند القيام للخدمة شنو؟ ها؟ رعاية وتعظيما وشنو؟ وحضورا، اما الخشوع اصل الخشوع تكلمنا عنه في منزلة لا يكون الا مع ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ الذين هم في؟ صلاتهم شنو؟ خاشعون، ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ الخشوع مع الايمان اصلا، طيب، قال الخشوع في الخدمة عندما تخدم ربك ان تخدمه بخشوع وهو قال رعاية والرعاية يراد بها رعاية حقوق الخدمة الظاهرة والباطنة والقيام بها على اكمل وجه، يقول ابن القيم اسمع هذا الكلام اللطيف والله يا اخوانا ابن القيم العجيب قال ورعاية خدمة الله لا تكون الا باتباع الشرع ظاهرا وباطنا وان خالف هواك.

وان خالف شنو؟ ها؟ هواك، قام جاب عبارة جميلة، قال وطريق ان تسير خلف النبي عليه الصلاة والسلام، وطريقها ان تسير من؟ خلف قال فمن سار خلف النبي ولو زحف زحفا وصل، انت كان مشيت والرسول لو مشيت وسلم وانت تشوف زاحف بتسلح، ولو انك ذهبت خلف غيره تجري لضللته، فسيرك خلف النبي عليه الصلاة والسلام يفيد، ولو كان ولو كان شنو؟ زحقا، والله يا اخوانا ده كلام تقيل ده، طيب، يقول سكينة الخشوع بان يقوم بالخدمة رعاية ورعاية الخدمة ان يقوم بها ظاهرا وباطنا وان يوقعها وفق مقتضى

الشريعة، ثانيا تعظيما وهو ان يقوم بالخدمة تعظيما واجلال وتعظيمه واجلاله لله تبع خدمته لله عز وجل تابعة لاجلاله وتوقيره فعلى قدر اجلال العبد لربه تكون خدمته يعني كلما كنت مجلا لله كلما كان شنو؟ الخدمة اعلى، الم يقل ربك جل وعلا؟ ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ طيب، قال وحضورا والحضور هو ان تخدم ربك رعاية ظاهرا وباطنا، وتعظيما ان تقوم بالخدمة وانت معظم له، وحضورا ان يكون قلبك مستحضر لجنابه ولعظمته، الاحسان ان تعبد الله كانك تراه، فان لم تكن تراه فانه يراك.

الدرجة الثانية من درجات السكينة عند المعاملة، عند المعاملة مع الله بمحاسبة النفوس وملاطفة الخلق ومراقبة الحق، قال ابن القيم محاسبة النفس وقد مرت علينا منزلة المحاسبة ان تعرف ما لها وما عليها، وطهارة النفس وزكاتها لا تكون الا هي موقوفة على محاسبتها، فلا تزكو ولا تطهر ولا تصلح النفس البتة الا بالمحاسبة، قال الحسن اسمع الى هذا الكلام الراقي وهذا كلام راقي جدا، قال الحسن البصري رحمه الله ان المؤمن لا تراه الا قائما على نفسه، ما اردت بكلمة كذا، ما اردتي باكلة كذا، ما اردتي بمدخل كذا، ما اردتي بمخرج كذا، ما اردتي بهذا ما لي وهذا، والله لا اعود لهذا، عمره كله يتقلب في هذه المقامات، قال المحاسبة تطلع العبد على نقائص النفس وعيوبها، والثاني ملاطفة الخلق ان تلاطف شنو؟ الخلق طيب يا اخوان ما علاقة ملاطفة الخلق بسكينة القلب مع الله؟ ده كلام راقي جدا، قال ابن القيم الخصومة مع الخلق مذهبة لسكينة القلب مع الله، لانك اذا خاصمت العبادة ينشغل قلبك بالخصومة فيأتيه من الغم والهم ما يحول بين القلب وبين العبودية، داير اقول لك حاجة.

طيب بس ما تتشاكل وجيت تصلي العشا اداؤك لصلاة العشاء سيختلف عن صلاة المغرب قبل ان تتشاجر اتشاجرت ورفعت صوتك وكورستا وحجزوكم وجيت الصلاة الصلاة كلها تكون بتعبي في يدك بعدين بتجيب ما بتعرف لان قلبك منشغل بالخصومة لذلك يرى الهروي ويقول ابن القيم مفصحا اذا اردت سكينة قلب مع الله فلا بد ان تكون بملاطفة الخلق وان الخلق يحتاجون الى نوع من انواع التعامل تسكن جمرة وتطفئ غضب بعضهم، وهذا يحتاج الى نوع من انواع الفن بعد توفيق الله تعالى، لانه اخوانا في ناس اعوذ بالله لسان زفت وناس كلامهم قبيح سيء يعني يسمع الكلام فارغ قد يكون ما بيقصد لخلل في نفسه وعدم اتزان ما موزون؟ يعني في واحد اتكلم مع واحد في قدر ابوه يهزر معه وهزار زي بيهزر مع واحد شاب زيه دقنه سودا سوي؟ في زول بيهزر مع زول قد ابوه انت كان سمعته تقوم جاري بس ما عندك طريقة الا تقوم جاري والله اكلمك، تقوم جاري عزيز، لا يعرف صغير، ولا يعرف كبير، بل اقول لك حاجة؟

في نوع من الناس من قدرة ما فقد التوازن، الناس واقفين في الصف بيهزر، في الصلاة دي لا، ممكن في الكعبة يهزر، ما عنده مشكلة بداله السلف عنه شنو؟ عدو سوء العاقل ولا صديق جاهل، لا تضرك هما مسكين، قايل نفسه بيصلحك، قال شنو؟ قال لا تصحبن الاحمق المائم السمقنقة، عدو سوء عاقل ولا صديق جاهل، ان اصطبحاب الماءق من اعظم البوائق فانه لحمقه، وفرطه في عمقه يحب جهلا فعله وان تكون مثل يستقبح القبيح ويبغض النصيحة، بيانه سفاهة، وحلمه فهاهة، وربما تمطر، فكشف المغطى، لا يحفظ الاسرار، ولا يخاف عار، يعجب من غير عجب، يضحك من غير سبب، وربما اذا اراد نفعا فاضر كفعل ذاك الدب بخله المحب روى اولو الاثار عن رجل سيار ابصر في صحراء فسيحة الارجاء دبا عظيما موثقا في صرحة معلقة يعويه الكلب من شدة وكرب فادركته الشفقة عليه حتى اطلق، فنام تحت الشجرة ما نام من قد افجر طول الطريق والسفر فنام من فرض الضجر فاقبل الذباب ترنك الرباب فوقعت لحين على عينه فجاس غيظ الدب وقال لا وربي لا ادع الذباب يسومه عذابا فاسرع الدبيب لصخرة قريبة فقلها واقبل يسعى اليه عجلا حتى اذا حازاه صك بها لحداه ليقتل الذباب قتلا بلا ارادة.

فرد منه الرأس وفرق الاضراس واهلك الخليل بفعله الجميل، فهذه الرواية تنهاه عن الغواية في طلب الصداقة عند اولي الحماقة، وجاء في الصحيح نقلا عن المسيحي، عالجت كل ابرة واكمه لكنني لم اطق قط علاج الاحمق، المسيح قال المغمد فتحناه، الاحمق ده ما قدرنا نعالجه نهائيا، ان الحماق اعين من يداويها، ففي نوع من الخلق مثل هذا، غير منضبط، التعامل معه صعب، لو مشيت تنضم معه، يسمعك كلام يخليك تقوم داري يومين، لانه ما عنده كبترول، بعدين ما عنده كبير، ولا عنده صغير، والله هذي مشكلة، فبالتالي يقول ملاطفته شنو؟ ملاطفته؟ الخلق ومراقبة الحق، يقول العلامة ابن القيم هي موجبة لكل صلاح وخير عاجل واجل، فلا تصلح محاسبة النفس ولا ملاطفة الخلق الا بمراقبة الحق سبحانه، الدرجة الثالث والاخيرة لا نقف عندها كثيرا، قال السكينة التي تثبت الرضا بالقسم، الرضا بالقسم سكينة شوف سكينة الى اقدار الله، بالقسم بما قسم الله، تثبت قلبك على الرضا بشنو؟

بما قسمه الله وتمنع من السطح الفاحش، يا سلام ده كلام خطير، يا اخوانا شنو؟ الزول اللي بيشطح ما عنده سكينة، قال ابن القيم ما شطح الا السكينة، ابو يزيد البسطامي نقل عنه كلام سيء، نقل عنه كلام شنو؟ سيء، انه لاقيت الله واتكلمت مع الله وكلام زي ده، اما الجنيد وسهل بن عبدالله تستري، قال ابن القيم لم ينقل عنهما شطح، لان السكينة كانت في قلوبهم مستقرة، قال وتوقف صاحبها على حد الرتبة اي توجب لصاحبها الوقوف عند حد رتبة العبودية، فلا يتعدى العبودية الى ان يدعي.

## للاستماع إلى المادة وتنزيلها

mohamedsayed.com/halqa/72/شروح-الكتب/شرح-كتاب-مدارج-السالكين

## تابع الحسابات الرسمية للشيخ

**فيسبوك**
MohammedSayedHaj

**يوتيوب**
@msayedhaj

**تيليجرام**
@msahaj

**قناة واتساب**
قناة الشيخ

**إكس**
@mohamedsayed_sd

الموقع الرسمي للشيخ محمد سيد حاج رحمه الله · mohamedsayed.com